جامعة سوهاج

كلية الآداب بسوهاج

قسم اللغة العربية

﴿المحاضرة الثالثة – قصيدة ابن الرومي في رثاء ابنه الأوسط﴾

في مقرر النقد الأدبي (٢)

كلية التربية - قسم اللغة العربية

إعداد

دكتورة/ هناء عابدين عبد الله

﴿رثاء ابن الرومي لابنه الأوسط﴾

أفكار وتأملات حول الموت

١- بكاؤكما يشفي وإن كانَ لا يجدي ... فجُودا فقد أوْدَى نَظيركُمُا عندي.
٢- ألاَ قَاتَلَ اللَّهُ المَنَايا ورَمْيَهَا ... مِنَ القَوْمِ حَبَّاتِ القُلُوْبِ عَلَى عَمْدِ
٣- تَوَخَّى حِمَامُ الموتِ أوْسَطَ صبْيَتي ... فللَّه كيفَ أختارَ واسطةَ العقدِ
٤-عَلَى حِيْنِ شِمْتُ الخَيْرِ مِنْ لَمَحَاتِهِ ... وآنَسْتَ مِنْ أفْعَالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ
٥- طواهُ الرّدَى عني فأضحى مَزَارهُ ... بعيداً على قرب، قريباً على بعدِ
٦- لَقَدْ أنْجَزَتْ فِيْهِ المَنَايَا وعِيْدَهَا ... وَأخْلَفَتِ الآمَالُ مَا كَانَ مِنْ وَعْدِ
٧- لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ المَهَدِ واللحْدِ لَبْثُهُ ... فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ المهد إذ ضُمَّ فِي اللّحْدِ

وصف احتضار الولد

٨- أَلَحَّ عَلَيْهِ النَّزْفُ حَتَّى أحَالَهُ ... إلَى صُفْرَةِ الجَادِيِّ عَنْ حُمْرَةِ الوَرْدِ
٩- وَظَلَّ عَلَى الأيْدِيْ تَسَاقَطُ نَفْسُهُ ... ويذوِي كما يذوي القَضِيبُ من الرَّنْدِ
١٠- فَيَالَكِ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقَطُ أنْفُسَاً ... تَسَاقُطُ دُرٍ مِنْ نِظَامٍ بِلاَ عَقْدِ
١١- عجبتُ لقلبي كيف لم ينفَطِرْ لهُ ... ولو أنه أقسى من الحجر الصَّلدِ
١٢- وما سرَّني أن بعتهُ بثوابهِ ... ولو أنه التخليد في جنةِ الخلدِ
١٣- ولا بعتهُ طوعاً ولكنْ غُصِبتُه ... وليسَ على ظلمِ الحوادثِ من مُعْد
١٤- وإنِّي وَإنْ مُتَّعْتُ بِابْنِيَّ بَعْدَهُ ... لَذَاكِرُهُ مَا حَنَّتِ النِيَّبُ فِي نَجْدِ

المقارنة بين الأولاد والجوارح

١٥-وَأوْلاَدُنا مِثْلُ الجَوَارِحِ، أيُّهَا ... فَقَدْنَاهُ، كَانَ الفَاجِعُ البَيِّنُ الفَقْدِ
١٦- لكلِّ مكانٌ لا يَسُدُّ اخْتلاَلَهُ ... مكانُ أخيه في جَزُوعٍ ولا جَلدِ
١٧- هَلِ العَيْنُ بَعْدَ السَّمْع تكْفِي مكانهُ ... أم السَّمْعُ بَعْد العيْنِ يَهْدِي كما تَهْدي
١٨- لَعَمْرِي لقد حالَتْ بيَ الحالُ بَعْدَهُ ... فَيَا لَيتَ شِعْرِي كيف حالَتْ به بَعْدِي

تفجع الشاعر ومناجاته لابنه

١٩- ثَكِلتُ سُرُورِي كُلَّه إذْ ثَكلتُهُ ... وأصْبَحْتُ فِى لَذَّاتِ عَيْشِى أخَا زُهْدِ
٢٠- أرَيْحَانَةَ العَيْنَينِ والأَنْفِ والحَشَا ... ألاَ لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَغَيَّرَتْ عَنْ عَهْدِي
٢١- سأسْقِيكَ ماءَ العيْن ما أسْعَدَتْ به ... وَإنْ كَانَتْ السُقْيَا مِنَ العَيْنِ لاَ تُجْدِي
٢٢- أعَيْنَيَّ جُودا لي فقد جُدْتُ للثَّرى ... بَأنْفُسٍ مِمَّا تُسْألاَنِ مِنَ الرَّفْدِ
٢٣- كَأنِّي مَا اسْتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِضَمَّةٍ ... ولاَ شَمَّةٍ فِي مَلْعَبٍ لَكَ أوْ مَهْدِ
٢٤- ألاَمُ لَمَّا أبْدِيْ عَلَيْكَ مِنَ الأسَى ... وإنِّي لأُخْفِي مِنْه أضْعَافَ مَا أبْدِي
٢٥- محمَّدُ ما شَيْءٌ تُوُهِّمَ سَلْوَةً ... لِقَلْبِي إلاَّ زَادَ قَلْبِي مِنَ الوَجْدِ

٢٦- أرَى أخَوَيْـكَ البَّـاقِيَيْنِ كِلَيْهِمَـا يَـكُـوْنَـانِ لِـلأحْـزَانِ أوْرَى مِـنَ الـزَّنْـدِ
٢٧- إذَا لَعِبَـا فِي مَلْعَـبٍ لَـكَ لَـذَّعَـا فُؤَادِي، بِمِثْلِ النَّـارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْـــدِ
٢٨- فما فيهما لي سَـــلْوَةٌ بَلْ حَزَازَةٌ يُهَيِّجَـانِهَـا دُوْنِي، وَأشْـــقَى بِهَـا وَحْـدِي
٢٩- وَأنْتَ، وَإنْ أفْرِدْتَ فِي دَارِ وَحْشَـةٍ فَـإنِّي بِـدَارِ الأنْسِ فِي وَحْشَـــةِ الفَرْدِ
٣٠- عَلَيْـكَ سَـــلاَمُ اللَّـهِ مِنِّي تَحِيَّـةً وَمِنْ كُـلِّ غَيْثٍ صَـــادِقِ البَرْقِ وَ الرَّعْدِ

إيجاز المضمون:

يستهل الشاعر مخاطباً عَينيْه أن تجودا له بالدّمع الذي يُهَدّئُ من لوعته ولا يُجْديه في دفع مستحيل المَوْت. ثم يعرض لبعض أفكاره بشأن الموت الذي يّتعمد إصابة الأحياء بفلذات قلوبهم.

فقد اختارالموتُ ابنه الأوسط من بين أخويه، كأنما تَعْمّد اختيار واسطة العقد من أَبناءه، وقد فجع به بعد أن شَـبَّ وأَشـرف على الرّشـد، فغدا بعيدا عنه، قريباً منه، في آن معاً، قبره قريب وروحه نائية، بعيدة، فتحقَّق فيه الخطب الفادح وخُذِلَتْ الآمال التي كان يُعَلِّقها عليه.

لقد كان عمره قصيرا، فلم يطل عهده بالحياة، إذ أَلحَّ عليه النَّزف وأصابه الشُّحوب والاصفرار، فأخذ يذوي، شيئاً فشيئاً كقضيب الرَّنْد، وأنْفُسُ أهله تتساقط من دونه.

ويعجب الشـاعر ألا يَتَفَطَّر كبدُه عليه، إذ أن الحجر يكاد أن يرقَّ لموته، وهو لا يتعزّى عنه بالثواب الذي يناله من تصبره على فجيعته به، حتى لو نال به الخُلد والجنّة.

لقد غُصِـبَ عنه، دون إرادته بقَدَر من الدَّهر الذي لا مردَّ لحكمه. والشـاعر لا يتعزَّى عنه، بابنَيْه الباقييَنْ من دونه، إذ أن أولاد المرء أشبه بجوارحه لا يحلُّ بعضها محل البعض الآخر.

فكما أن السـمع لا يقوم مقام البصـر، كذلك فإن الولد الحيَّ لا يقوم مقام المَيْت. لقد فُجِع بسـعادته، وحالت حالُه بعده. وهنا يخاطب الشـاعر ابنه ويدعوه بريحانة العينين والأنف والحشـا ، و يذرَّف الدمع عليه إذ يُخَيَّل إليه أنه لم يعهده من قبل، ولم ينل منه متعة الشَّمّ والضَّم.

ويعود إلي ذكر أخويه ويقول أنهما لا يُعَزِّيانه عنه، بل يُذْكيان حسـرته ووحشـته ويُخَلِّفانه في عزلة شاملة. وينهي الشاعرقصيدته بتحيَّته واستسقاء الغَيْث لقبره.

تحليل القصيدة:

١ – أفكار وتأملات حول الموت: (١ – ٧):

يخاطب الشـاعر عينيه ويدعوهما أنْ تجودا له بالدَّمع، وإن كان ذلك لا يُجْديه عزاء ولا يردُّ له خسارة، لقد باعد المَوْت بَيْنه وبين ولده، ولا خير في البكاء إذ لا يُعَدِّل من واقع القَدَر شيئا.

ميَّز الشاعر في الشطر الأول بين الشفّاء والجدوى: (بكاؤكما يَشْفي، وإن كان لا يُجْدي) وهذا التمييز لا يسـتقيم في حدود العقل، إذ أن الشـفاء في طبيعة معناه ينطوي على الجدوى والخير والفائدة. وأية جدوى أعظم من أن يبرأ المرء ويشفى من داء يعانيه.

أما الشطر الثاني حيث يقول: (فقد أودى نظيركما عندي)، ومعنى كلامه أن ابنه كان يُمَثِّل له سعادته بالوجود وغبطته فيه، فهو كعينيه يطلُّ منهما على معالم البهجة، وإثر موته غدا الوجود أَعمى، تَغشـى معالمه الظُّلمة، وهي ظلمة اليأس.

ويعود الشـــاعر في بيت لاحق، فينعى على الموت ويلعنه لأنه يتعمد إصـــابة الناس بحبات قلوبهم، يقول:

ألاَ قَاتَلَ اللَّهُ المَنَايِا ورَمْيَهَا مِنَ القَوْمِ حَبَّاتِ القُلُوْبِ عَلَى عَمْدِ

وهنا أيضـاً يعلن ابن الرومي عجزه عن إدراك حكمة القدر والموت. فموت الشـيخ الفاني الهرم، قد يبدو أمراً طبيعيّاً سائغا، متوقّعا، أما موت الطفل والفتي، فأمر يحاربه العقل ولا يتلقَّاه إلا بالأسى الذي لا تُجدي فيه الثورة، فالموت عدوٌّ مُخْتلس، يختار الحيّ في غفلة من أهله السعداء به.

وربما التبس الشاعر في اختيار الموت لضحاياه، ويعجب انه اختار الأوسط بين أبنائه:

توخى حمامُ الموتِ أواسطَ صبيتي فللَّه كيفَ أختارَ واسطةَ العقدِ

وهذا البيت ينطوي على حقيقة وجدانيّة، إذ إن وقع الموت يكون فاجعا، ســـواءً أألَم بالأكبر أو الأوسط من الأبناء، فذكر الشاعر لأوسط صبيته قد يكون ساقه إلي التنبه لواسطة العقد.

ويسـتطرد الشـاعر، فبعد أن تقدَّم بالا شـارة إلى تعمُّد الموت إيذاءه و إلي اختياره لأوسـط صـبيته، دون غاية يفطن إليها الشاعر ويبّرره بها، يؤدي سبباً آخر لعظم فجيعته بقوله:

عَلَى حِيْنِ شِمْتُ الخَيْرِ مِنْ لَمَحَاتِهِ وَ آنَسْتَ مِنْ أفْعَالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ

فالموت لم يفجعه به طفلاً ولم يفجعه به كهلاً، بل اختطفه فيما أشرف على الرّشد، قاضيا علي أمل والده به. لقد كان يُخيل للشاعر أن ابنه سيعينه علي مشقّة الحياة واكتساب الرزق، إلا انه بموته، قد افتقد معه الخير الذي يُمني نفسه به.

وهكذا فان معاني الأبيات الثاني والثالث والرابع تنطوي على هذه الدلالة المرضـــيَّة الفاجعة التي يتراءى الشاعرمن خلالها، وكأنه ضحيَّة القدر الذي يُنْزل به الخسارة.

أما في البيتين الخامس والســـادس، فإنه يكرر ما أَلمّ به من قبل في حدود المعادلة البديعية. فابنُه غدا (بعيدا عنه، قريبا منه).

وهو يعلن هنا حقيقة فعلية انتهى إليها ، إذ يظل جسد الميت قريباً في قبره، فيما تبارح الروح التي فيها وجوده الحقيقي إلي الله سبحانه وتعالى.

أما قوله:

لَقَدْ أنْجَزَتْ فِيْهِ المَنَايَا وعِيْدَهَا وَأخْلَفَتِ الآمَالُ مَا كَانَ مِنْ وَعْدِ

فإنه يُطْلعنا على جزعه من أن الموت ســـيلم بولده. فقد كان يتوقع ذلك لســـوء ظنه بالدّهر الذي يْصيبه بكل ما يؤثره ويجد فيه أملا أو سلوى.

ذلك كان المقطع الأول الذي وقف فيه من الموت موقفاً تأملياً، تعليلياً، مُســـتَمدّاً من ذلك المنطق الَّذي يقرر مواقفه من الحياة وأقدارها.

٢- وصف احتضار الولد: (٨ – ١٤):

بعد هذه المقدمة ينفذ الشـاعر إلي قلب المأسـاة حيث تشـخص له ملامح ولده، فيما كان يتخبَّطه الموت. فيرســم لنا بدقة كيفية احتضــاره حتى ينقل المشــهد من عينيه إلي عيوننا، ومن نفســه إلي نفوسنا.

إنه يحملنا بأجنحة الشعور ويضعنا أمام الموت وجها لوجه، لقد اختلطت ملامح الطفل وغشيها الاصفرار حتى طفق الأهل يتناقلونه من يد إلي أخرى، وقايةً له وتلهُّفاً عليه، لكن روحه كانت تبارح الجسد، خلجة إثر خلجة، وتذوي طفولته، كما يَذْوي قضيب الربيع وأنفس المشاهدين تتساقط وتحتضر لاحتضاره.

ويا لمأساة ذلك المشهد، بين طفل كان يمثل الفرح والمداعبة والسّرور، إذا بتلك الأيادي التي كانت تداعبه تصبح نعشاً يشهد احتضاره، فكيف يكون تأثير ذلك المشهد إذ تمثلنا الطفل يهذي بكلمات بريئة، ويتضرع بنظرات دون أن يقوى الأهل على انتزاعه من مأساته.

لهذا سنري الشاعر في القصيدة، جميعا، يتلهَّف علي طيب ولده، فيناجيه ويدعوه بريحانة العينَين والأنف والحشا، فنراه في رثائه يتوسل بالتأوه والنداء اللّذين هما أقرب إلي العتاب والتأسف منهما إلي العويل:

فَيالَكِ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقَطُ أنْفُسَاً تساقط دُرٍ مِنْ نِظَامٍ بِلاَ عَقْدِ

إنَّ أداة النداء " يا " تنطوي على كثير من التلهُّف والانتظار اللذين يتفقان مع النفس المنكسرة، البائسة. ففيها من التمهُّل ما يقرب إلى العياء والتلاشي، وفيها من النداء ما ينمُّ عن الوحشة واللوعة.

عَجِبت لِقلبي كيفَ لم ينفطِرْ له ولو أنه أقسى من الحجر الصَّلد

إن الشاعر يلتفت متعجّباً كمن أُصيب بطعنة قاتلة ولم يُقْتل، لقد اندهش الشَّاعر من أمر نفسه، فخَرَج من تلك الدهشة بهذا الشعر الذي يمثل بوح النفس بواقع التباسها وحيرتها من ذاتها.

ويلم الشاعر بنبذة دينية، دون أن يُؤَدِّى فيها ظاهرة من مظاهر التقوى وذلك بقوله:

وما سرَّني أن بعتهُ بثوابهِ ولو أنه التخليد في جنةِ الخلدِ

يهتدي الشاعر إلي تعليل جديد لظاهرة الموت، وفقاً لما هو مأثور في سُنَّة الدّين. فالله يبتلي عباده بالموت ليَخْتبر صبرهم.

ولعلَّه يُكَرِّر ما تقدمَ به، من الشعور بالقسر والإكراه وافتقاد الحرية إزاء الموت من قوله:

ولا بِعْتُهُ طَوْعاً وَلَكِنْ غُصِبْتُهُ وَلَيْسَ عَلى ظُلْمِ الحَوَادِثِ مِنْ مُعْد

٣- المقارنة بين الأولاد والجوارح :(١٨-١٥)

ويكف ابن الرومي عن النَواح والتفجّع المباشَرَيْن، ويعرض لهما من خلال نزعته التعليلية التي تَفَطّن فيها إلى بعض الحقائق بالمقارنة والاستنتاج:

وَأوْلاَدُنا مِثْلُ الجَوَارِحِ، أيُّهَا فَقَدْنَاهُ، كَانَ الفَاجِعُ البَيِّنُ الفَقْدِ
لِكُلٍّ مَكَانٌ لاَ يَسُدُّ اخْتِلاَلَهُ مَكَانُ أخِيْهِ فِي جَزُوْعٍ وَلاَ جَلَدِ
هَلْ العِيْنِ بَعْدَ السَّمْعِ تَكْفِي مَكَانَهُ أمْ السَّمْعَ بَعْدَ العَيْنِ يَهْدِي كَمَا تَهْدِي

فالأولاد كالجوارح وسائر أعضاء الجسم، لا يعرف المرء بأَهميتها حتى يفتقدَها. وكلٌّ منها لا تعوض عن الأخرى. فالعين لا تسمع كالأذن والسّمع لا يرى كالبصر.

وإثر تلك النبذة التعليلية يعود الشاعر إلي التفجُّع، بعد أن كفَّ عنه، حينا، بشكله المباشر، فيقول:

لَعَمْرِي لَقَدْ حَالَتْ بِيَ الحَالُ بَعْدَهُ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِي
ثَكَلْتُ سُرُوْرِيَ كُلَّهُ إِذْ ثَكَلْتُـــهُ وأصْبَحْتُ فِي لَذَّاتِ عَيْشِي أَخَا زُهْدِ

ومعني هذين البيتين هو تكرار لمعني أبيات ســـابقة في معاناة الشـــاعر للعزوف عن كل ملذات الحياة وأفراحها وتحوله إلي حالة من الشَقاء الدائم، وهو يفصح عن ذلك تحت وطأة الانفعال بالآسي واليأس والندم.

٤- تفجُّع الشاعر ومناجاته لابنه وافتقاده له بأخويه: (١٩ – ٣١):

لكن سرعان ما يتخلَّص الشاعر من البديع ويتَّصل بالمعاناة النفسيّة، فيسمو من جديد وتتولاه الغنائية والرؤية:

أرَيْحَانَةَ العَيْنَيْنِ وَالأنْفِ والحَشَـــا ألاَ لَيْتَ شـــعري هل تَغَيَّرَتْ عَنْ عَهْدِي
كَأنِّي مَا اسْـــتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِضَـــمَّةٍ ولاَ شَـــمَّـــةً فِي مَلْعَـبٍ لَـكَ أوْ مَهْـدِ
ألاَمُ لَمَّا أبْدِيْ عَلَيْكَ مِنَ الأسَـــى وإنِّي لأخْفِي مِنْـهُ أضْـــعَافَ مَـا أبْـدِي

إنه يتذكّر ضمة ابنه وشميمه، يتمثّله في ملعبه أو مهده، أي أنه يقف أمامه وجها لوجه، يبصر أحداقه وملامحه ويتخيّل رقاده الملائكي ولعبه البرئ، ويَذْكر في الآن نفسه، أن مستحيل الموت يقف بينه وبين ولده، فتتحول منعتهُ الماضية إلي حسرة دائمة إلي غصة تقبض عليه، كلما تخيل أنَّ ولده استحال إلي تُراب هامد، لا حرارة فيه.

محمَّدُ مـا شـــيْءٌ تُوهِّمَ سَـــلْوةً لِـقَـلْـبِـي إلاّ زَادَ قَـلْـبِـي مِـنَ الـوَجْـدِ
أرَى أخَوَيْـكَ البَـاقِيَيْنِ كِلَيْهِمَـا يَـكُـوْنَـانِ لِـلأحْـزَانِ أوْرَى مِـنَ الـزَّنْـدِ
إذَا لَعِبَـا فِي مَلْعَـبٍ لَـكَ لَـذَّعَـا فُؤَادِي، بِمِثْلِ النّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْـــدِ
فمـا فيهمـا لي سَـــلْوَةٌ بَلْ حَزَازَةٌ يُهَيِّجَانِهَا دُوْنِي، وَأشْـــقَى بِهَا وَحْدِي

إن المهد والملعب هما بالنّسـبة إلي الناس مكان النّوم واللَّهو، أما بالنسـبة إلي ابن الرومي فهي تُذْكي شوقه، لكنها لا تطفئُه، تلهب ناره، دون أن تُخْمدها، انه يعيش في جدار الوحشة والانفراد، كما يتردَّى ابنه في تراب الموت:

وأنتَ وإن أُفْرِدْتَ في دار وَحْشَةٍ فَإنِّي بِدَارِ الأنْسِ فِي وَحْشَةِ الفَرْدِ

هذا البيت وما قبله، جملة، اقرب إلي الغنائية والبوح، خاصـــة، عندما يتلذّع بابنَيْه الباقيين عن أخيهما البارح.

وتنتهي القصيدة بلحن قاتم موحش، يسدل علي نفوسنا جدار العتمة:

عَلَيْكَ سَلاَمُ اللَّهِ مِنِّي تَحِيَّـــةً وَمِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ البَرْقِ وَ الرَّعْدِ

الطبائع الاسلوبية:

١- شعر معني ومبني:

يبدو ابن الرومي في هذه القصيدة الرثائية من شعراء المعني والمبني، وفقا لتعبير النقَّد القديم. فجهده ينصرف إلى اكتشاف المعاني من خلال المعاناة الوجودية، حينا، وحينا آخر بالتعليل والتأويل، ويخطر كذلك ببعض الحقائق والمعاني بتأثير التداعي البديعي في الجناس والطبّاق وموازنة الجمل،

فتغلب عليه النزّعة اللفظية في طبائع الحروف وإيقاعاتها، ومعظم المعاني التي ألَمّ بها، تفَّتقت له بتأثير معاناته.

ولم نكد نشـــهد فيها تأثير التقليد الا في بعض المعاني المجزوءة الداخلة في عمود الرثاء، فغدا مشحونا بطقوس الموت والنّواح في عالم شبه أسطوري. من ذلك: (استسقاء المطر للميت واستبكاء العينَيْن وحنين النّيب). وفيما عدا ذلك فقد اشتق الشاعر معانيه اشتقاقاً بنفسه.

٢- **التواشيح البديعية**:

إلا أن انصرافه للمعني، لم يحل بينه وبين الاعتماد على التواشيح البديعية، من ذلك قوله:

(أوسط صبيتي وواسطة العقد – بعيدا علي قرب، قريبا على بعد – المهد واللحد – الوعد والوعيد – صـفرة الجادّي عن حُمْرة الورد – نفس تسـاقط أنفسـا – التخليد في جنّة الخلد – حالت بي الحال بعده، كيف حالت به بعدي – التخليد في جنَّة الخلد – وأنت وأن أفردت في دار وحشـــة، فاني بدار الأنس في وحشة الفرد).

٣- **طبائع العبارة**:

أ- **اللفظة المفردة**: تبدو ألفاظه إذا افردت وعزلت عما دونها، ألفاظا مباشـــرة لا تنطوي علي أكثر من معناها المتداول، فهي لفظة محددة، واضـــحة، مقّننة لا إســراف فيها ولا ترادف ولا نعوت تحشر في متن البيت أو العبارة.

ب – **اللفظة المركبة أو العبارة**

تكثر فيها حروف الفاء الدالة على الاســتنتاج حينا، (فجودا، فقد اودى – فلله – فلم ينْسَ – فيا ليت شـعري، فاني بدار الانس، فما فيهما لي سـلوة) ولقد تسـرَّبت هذه الفاء إلى شـعر ابن الرومي من نزوعه منزعا جدَليّاً أو برهانيا أو استنتاجيا أو تفسيريا.

وبتأثير هذه النزعة ذاتها نقع علي أدوات جزم وشـــرط، وهي أدوات توافق النزعة البرهانية التفسـيرية: (وان كان لا يجدي – ولو أنه أقسـي من الحجر الصَّـلد – ولو أنّه التَّخْليد – واني وان مُتّعْتُ بابنيَّ بعده – إذا لعبا – وأنت وان افْرِدْتَ في دار غربة).

وتبعا للأحوال التي تطرأ عليه نراه ينادي نداء اللهفة والحيرة والأســى: (فيا لك من نفس – أريحانة العينَيْن والأنف والحشـا – أَعَيْني جودا لي – محّمدُ ما شـيء توهم سـلوة) وقد كان النداء وسيلة له لإيحاء أسلوبه وإخراجه عن وتيرته الواحدة وتبديل الموجة النفسية والسياق السردي أو التقريري. فقوله: (فيا لك من نفس) يُفصح عن التعجَّب والحسرة والندم بطبيعة النداء ذاته.

وقوله: (أريحانة العينين) يفيد التلهف والتفجّع وما اليهما.

وقد يستبدل النداء المباشر مستفتحاً (بألا): (ألا قاتل الله المنايا)، (ألا لَيْت شعري) وما يدنو إلي ذلك: (لله كيف اختار، لعمري) أو الاســتفهام: (عجبت لقلبي، كيف لم يتفطر له – هل تغيّرت عن عهد – هل العين).

١ – **التشـبيه والاسـتعارة**: مع أن ابن الرومي ينظم في مقام الرثاء، فقد أَلَمّ بكثير من التشـابيه وأحال بعضها إلي استعارات في أبيات كثيرة، وأفاد منها دلالات متعدّدة مُتَبَاينة. ويمكن أن يُحْصي ذلك بما يلي:

- (ألا قاتل الله المنايا وأخذها من القوم حبات القلوب علي عمد): وقد شــبّه الأولاد بحبَّات القلوب للتدليل على الحنان والمحبّة، وقد مال فيه إلي نوع من الاستعارة إذ حذف المشبه وأبقي علي المشبه به.

-(فالله كيف اختار واسطة العقد): شبه ابنه الأوسط بواسطة عقد ابنائه للتدليل علي تناثر العائلة وانفراط عقدها بموته، وحذف المشـــبه وأبقي علي المشـــبه به من دونه فمال إلي الاســـتعارة التصريحية.